أسبوعيات نائب الاثنين، ١٧ فبراير، ٢٠٠٣

شقوق مرشحة للاتساع ولتغيير صورة المسرح الدولي

ناهض منير الريس

النائب عن مدينة غزة

فتحنا العيون على اتساعها في الأسبوع الماضي لمراقبة المعركة السياسية بين أمريكا وبريطانيا وإسرائيل من جانب وبين بقية دول العالم من جانب آخر . ومن يستهين بتلك المعركة حامية الوطيس التي أطلق خلالها وزير الدفاع الأمريكي بذئ اللسان دونالد رامسفيلد على فرنسا وألمانيا كلمة (القديمة) التي تعني أيضا بالإنجليزية (الشائخة) أو (الهلوك) نكاية بهما وتحقيرا لهما وتقليلا من شأنهما ، في حين أنعم على بعض دول الكتلة الاشتراكية السابقة المنحلة مثل لاتفيا وإستونيا بلقب فضفاض فسماها أوروبا الجديدة ؟! أم من يستهين بتلك المعركة التي أعلن فيها وزير خارجية إسرائيل العنصري المغرور بنيامين نتنياهو الحرب على أوروبا ومن فيها من أعداء السامية حسب هوسه الارتيابي إذ هددهم دون أن يسميهم بحرب لا هوادة فيها تشنها إسرائيل ومن معها من القوى التي تعمل لإقامة العالم الحر ؟! وهذا على كل حال ليس جديدا على نتنياهو الذي سبق أن وجه تهديدا إلى الرئيس الأمريكي السابق بيل كلينتون بسبب قوله ذات مرة كلاما لم يعجب إسرائيل ، فصرح نتنياهو قائلا : سوف نشعل له الحرائق في البيت الأبيض ، واتضح فيما بعد أن تلك الحرائق لم تكن إلا حريق مونيكا في سراويل الرئيس الشهواني ..!

على أننا ربما كنا نقلل من شأن المعسكر الأمريكي حين نقول إنه مقتصر على بريطانيا وإسرائيل بالإضافة إلى الولايات المتحدة . فهناك إيطاليا وإسبانيا المؤيدتان لذلك المعسكر والمصطفتان وراءه ، ولكن رامسفيلد نفسه يعلم أن ما قاله ليس غير حك لحزازة صدره ، وأن فرنسا وألمانيا ليستا مركز ثقل قوة القارة الأوروبية وحسب ولكنهما زعامة القارة تاريخيا وحاضرا ، ولدى فرنسا أسلحة نووية وتكنولوجيا حديثة . ولدى ألمانيا قدرات صناعية حربية وغير حربية وإن لم تقتن الأسلحة النووية حتى الآن . أما دول أوروبا الشرقية فموقفها من تأييد السياسة الأمريكية - الإسرائيلية - البريطانية ضد العراق موقف ظاهرى مشروط بتلقى مساعدات مادية موعودة ما زالت تأمل أن تستلمها عدا ونقدا قبل أن تطور الموقف الظاهرى إلى موقف داعم فى جبهة الخليج . وما زالت أمريكا عاجزة عن الاستجابة لهذا الصف الطويل من الشحاذين طالبى الدبس من جوف النمس . ويمكن أن يقال الشيء نفسه عن موقف كل من إيطاليا وإسبانيا مع اختلاف بسيط فى الدرجة والتفاصيل .

تحت دهان تجميلي

ومع أن المنافسة واختلاف المصالح أوجدا الشق بين الولايات المتحدة وأوروبا منذ بدأ الزعيم الفرنسى الاستراتيجي الكبير شارل ديجول تأسيس السوق الأوروبية المشتركة ، رافعا شعار أوروبا موحدة ، بالتنسيق مع المستشار الألماني أديناور ، فإن ذلك الشق كان فى البداية مخفيا تحت دهان تجميلي سميك نوعا ، حرصت أمريكا على تكثيفه سعيا وراء الظهور بمظهر أمريكي - أوروبي متراص ضد الاتحاد السوفييتي وكتلته ، وسايرتها أوروبا الغربية فى ذلك الحرص نسبيا ، ووجد ذلك الحرص المشترك من الجانبين أكبر تجسيد عملى له فى حلف شمال الأطلنطى (الناتو) . وجدير بالملاحظة أننا وصفنا بالنسبى الحرص من جانب أوروبا لأن ديجول كان واعيا منذ البداية أن خطر الولايات المتحدة على مصالح أوروبا لا يقل عن خطر الاتحاد السوفييتي ، بل ربما كان أكبر !

نحن نشهد مصداق تلك النبوءة اليوم . وندخل فى مرحلة جديدة من مراحل التاريخ السياسى العالمي . وإذا كنا نبصر جيدا ونلتقط الإشارات جيدا فعلينا أن نفهم طبيعة ما يجرى ومغزاه البعيد . ها هو الشق بين حلفاء الأمس القريب قد اتسع حتى بدا واضحا للعيان . وما زال الناطقون باسم وزارة الخارجية الأمريكية

يحاولون عبثا أن يهونوا من شأنه . غير أن انضمام كل من الصين وروسيا للموقف الفرنسي - الألماني - البلجيكي ، ضاعف حجمه أضعافا ورسم خريطة جديدة لمسرح السياسة الدولية والقوى الدولية .

فلأول مرة في التاريخ ينشأ نوع من التوافق الذي يعبر عن نفسه في موقف ملموس ، صريح ، غير تهادني ، بين أهم دولتين في قارة آسيا وهما الصين وروسيا وأهم دولتين في قارة أوروبا وهما ألمانيا وفرنسا . وإلى جانب الصين وروسيا هناك كوريا الشمالية ، وإلى جانب فرنسا وألمانيا هناك بلجيكا . وكل من القطبين الآسيوي والأوروبي قادر على التأثير واستمالة العديد من الدول الأخرى في منطقته . أي أن هناك توافقا في غاية الأهمية - لا يرقى إلى درجة الحلف ولكنه يشكل مع ذلك مشروع تكتل سياسي مستقبلي قد يجد من مصلحته أن يدوم - بين هذه المراكز الزعامية في القارتين الكبيرتين ، هدفه التصدي للنزعة الأمريكية الجنونية التي أبدت في عصر بوش عنجهية واستهتارا لم يسبق لهما مثيل بجميع القوى والمصالح الأخرى في العالم ، فأخرجت الأوروبيين عن طورهم فلم يعودوا قادرين على لجم غضبتهم كما فعلوا دائما من قبل .

سياط على ظهر أمريكا

فالحماقة الأمريكية الكبرى التي يمثل الرئيس جورج بوش عنوانها وعنفوانها الزاعق ويمثل الوزير دونالد رامسفيلد ناطقها المقرف يسوقها سوطان : أولهما) سوط الشراهة والطمع البالغ في نفط العراق (ثاني أكبر احتياطي في العالم ، وأفضل نفط نوعيا نظرا لقلة نسبة الكبريت فيه) علما بأن خلفية الرئيس الأمريكي نفسه وخلفية نائبه ديك تشيني ووزير دفاعه دونالد رامسفيلد متصلة بتجارة النفط ، وثانيهما) بالتالي سوط اللوبي الصهيوني الأمريكي المتحامل على العراق بسبب وزن العراق العربي وثقله في مواجهة إسرائيل علما بأن الرئيس الأمريكي ورجاله الكبار ينتمون عقيديا للطائفة الأمريكية الأكثر تذيلا للصهيونية الروحية والسياسية ..

هذه الحماقة القصوى اضطرت القوى الدولية الأوروبية إلى هجر الموقف الذي لم تفارقه منذ القديم ؛ وهو الموقف المحافظ على الحلف المستمر تقليديا منذ الحرب العالمية الثانية ؛ والمتهيب من التصدي لشهوة الاستئثار والاستحواذ الأمريكية التي طالما اشتكى الفرنسيون والألمان بالخفاء منها والتي كانت السر الخفي وراء تقاربهم الحميم ، إلى موقف سياسي آخر يصادم السياسة الخارجية الأمريكية علنا ، بل ويدعو الآخرين إلى تشكيل الكتلة التي نتحدث عنها ، ما يعني يأس الزعامة الأوروبية من التفاهم مع الإدارة الأمريكية بالوسائل المكتومة ويعني الدخول في حالة صراع سياسي ساخن مكشوف معها .

ضربوا أو لم يضربوا !

ويرجع ذلك إلى الأسباب التالية (حسب ترتيب أهميتها) :

أولا - إن حشد مائة وخمسين ألف عسكري أمريكي في الخليج ، إضافة إلى القوات البريطانية ، ونقل ثلث مرتبات القيادة الميدانية الأمريكية بأسرها إلى المنطقة ، (ناهيك عن الإشارات ذات الدلالة المكملة ، مثل استئجار بعض المسؤولين الأمريكيين عقارات في مدينة الكويت لمدة عشر سنوات !) يعني أن الأمريكيين مصممون على البقاء في المنطقة سواء ضربوا العراق أو لم يضربوه . وفي رأيي أنهم سيضربونه لا محالة بكيفية ما ، وأن السبب الوحيد في تأجيل ذلك العمل الإجرامي حتى الآن هو أن القيادة الأمريكية لم تستكمل بقية استعداداتها ولم تنقل جميع قواتها الكبيرة التي يمكنها عن طريق الكثرة أن تضمن الفوز وتقلل الخسائر . ومهما يكن فإن تموضع القوات الأمريكية في الخليج ، لا سيما مدة طويلة ، هو استحداث لوضع سياسي - عسكري - استراتيجي جديد على ساحة العالم لم يستشر فيه أحد ، وهو خارج تماما عن الوضع القديم والتحالفات القديمة وقوانينها العرفية فيما بين أصحابها . ومعنى هذا الوضع تثبيت الاحتكار الأمريكي على ثلثي الاحتياطي العالمي كله من الطاقة . فواقع الحال يقول إن القيادة الأمريكية لا تنوي إعادة قواتها إلى بلادها قط دون أن ترتب مسألة استحواذها على النفط ، ومسألة تنصيب حكام محليين

جدد أكثر شبابا وبراجماتية كما اعتاد الأمريكيون والإسرائيليون أن يقولوا وهم يمهدون لمشروعهم الخاص بالتغيير في فلسطين ، وهم يريدون بذلك عملاء ذوى قشرة ثقافية أمريكية تهذي بالديمقراطية والواقعية والبراجماتية والحرية وحقوق الإنسان ، مذعنين تماما لسياستها النفطية ومتقبلين بل معترفين اعترافا عمليا بدور إسرائيل نائبا ووكيلا للولايات المتحدة وسيدا للمنطقة . أي أنهم جواسيس أمريكيون - إسرائيليون مزدوجون ، لا يستحون ولا يتهيبون .

وليس من مصلحة أي من القطبين الأوروبي والآسيوي أن ترسخ الولايات المتحدة احتكارها لنفط الشرق الأوسط . فهذه الدول وتوابعها دول صناعية . وحاجتها للنفط حاجة حيوية . ومصلحتها تتمثل طبعا في الحصول على النفط من مصادره الوطنية لا من الشركات الأمريكية الاحتكارية . فذلك أرخص سعرا وأكثر ضمانا . كما ليس من مصلحة هذه الدول أن تصبح إسرائيل وكيل أعمال أمريكا وسمسار مصالحها القريب إلى قلبها لأن أطماع إسرائيل لا تقف عند حد ولأن المنطقة التي تعيش فيها إسرائيل لا تشعر بالارتياح للتغلغل الإسرائيلي في الاقتصاد ولا في السياسة الخاصة بالمنطقة .

جبل ولد فأرا

أضف إلى ذلك كله أن طبيعة علاقات المنافسة بين الدول الصناعية في ميدان الأسواق الاستهلاكية تتركز في إنتاج سلع أدنى سعرا من سلع الآخرين . ومن شأن احتكار الأمريكيين للطاقة أن يجعلهم قادرين على رفع كلفة الإنتاج لدى الآخرين كما يشاؤون وخفض كلفته لدى المنتج الأمريكي . ولا شك أن استيلاء الأمريكيين على نفط العالم سوف يستتبعه اكتساب قدرة تؤدي إلى إلغاء مبدأ المنافسة تقريبا . فاحتكار النفط يؤدي إلى احتكار الأسواق ، أي إلى إفقار الآخرين . (والآخرون هنا ليسوا الدول المنهوبة المنتجة للنفط وحسب ، فهؤلاء قضية مفروغ منها ، ولكن الذين اجترأت أمريكا عليهم أخيرا هم الدول الكبرى الصناعية التي يهمها أن تساير الولايات المتحدة إجمالا ، ولكن فرائصها لا ترتعد إذا وقفت تقول لا لأمريكا !) .

ثانيا - إن إصرار الولايات المتحدة ومضيها قدما في فرض رأيها وإرادتها المنفردة وشن حربها ضد العراق ، والقول إنها ستفعل ما هي بصدد فعله سواء حصلت على موافقة مجلس الأمن أو لم تحصل ، وسواء انضم إليها حلفاؤها الأوروبيون أو لم ينضموا ، كلام خطير ، لا يتوقف عند حدود الحالة العراقية ، بل ينذر بأن يصبح في حالة سكوت وإغضاء القطبين الآسيوي والأوروبي مبدأ وسابقة دولية وحقا مكتسبا لأمريكا تكرر فعله كلما أرادت في كل بلد وكل شأن من الشؤون .

لا بد أن هذا ما كان يدور في ذهن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين حين قال مؤخرا لصحيفة ألمانية إنه يفضل عالما متعدد الأقطاب والقوى بدلا من عالم أحادي القطب . وكلنا يذكر كيف ضحكت الولايات المتحدة على ذقن ميخائيل غورباتشوف هادم الامبراطورية السوفييتية وبوريس يلتسين الذي حاول عبثا أن يصنع قصورا من أنقاضها ، فقد أغرقتهما بالوعود ولوحت لهما بالأماني حتى تقوضت الامبراطورية وانفضت عنها كتلتها ، ثم تمخض جبل المساعدات الأمريكية فولد فأرا . ولا يمكن لبوتين بعد تلك التجربة أن يسلم ذقنه لأمريكا مطمئنا ، وإنما يعاملها بالقطعة ، صفقة بعد صفقة دون أن يشتري عداوتها .

أوروبا الضائقة ذرعا

ونفهم من خطواته على ضوء المرحلة الاقتصادية والسياسية التي تمر بها روسيا اليوم أن هدفه الأول هو التنمية واستعادة القدرة على الإنتاج باستخدام تقنيات أفضل وبالمنافسة في الأسواق . وهو حينما يطلب عالما متعدد الأقطاب يتصور روسيا واحدا من أهم تلك الأقطاب (ولكنه يدرك حتما أن روسيا لن تعود كما كانت الدولة الثانية في عالم ثنائي القطبين) . وكان بوتين قد أبدى حرصا على الاستفادة من الإرث السوفييتي وإعادة تسخين الخطوط مع العالم العربي الذي أقام من قبل صلات ممتازة مع الاتحاد السوفييتي ، وحرصت بغداد من جانبها على تشجيع هذه السياسة ومنحها مردودا مجزيا وتوقعت بالمقابل أن تقدم موسكو الدعم الأقصى لبغداد في الأمم المتحدة ومجلس الأمن . وعقد الجانبان الصفقة الشهيرة في بداية الأزمة مع

أمريكا . ولكن بوتين رأى أن الأمريكيين مندفعون نحو حافة الهاوية ، غير مبالين بأحد ، وصار جل همه أن يضمن تنفيذ الصفقة على أي حال سواء مع العراقيين أو مع الأمريكيين في حال احتلالهم الكويت . وهكذا رأيناه يبعث من يسأل الأمريكيين إن كانوا يضمنون له ذلك . وسرعان ما جاءه بوش إلى موسكو ملبيا لطمأنته ولفك ارتباطه مع العراق . وربما كان بوتين المهزوز سيزداد تقاربا مع الموقف الأمريكي وتباعدا عن الموقف العراقي لو لم تنهض فرنسا وألمانيا وتعلنا موقفا صلبا لا تراجع فيه ضد انفراد الأمريكيين بالسيطرة والهيمنة والنفط . وقال بوتين مؤخرا للصحيفة الألمانية إن روسيا هي بالطبع دولة أوروبية . ولكن الحقيقة هي أن هذا ليس كل شيء . وإنما يبدو أن زيارة بوش المشار إليها لم تعد بوتين بما هو أكثر من الصفقة الموقوتة بوقتها ، دون أن يقدم عروضا اقتسامية أكبر . ولا شك أيضا أن بوتين تشجع من المثل الذى ضربته ألمانيا وفرنسا وعاد يراجع نفسه . ولكنه لم يبلغ على كل حال المبلغ الذى وصلت إليه فرنسا وألمانيا فى مواجهة أمريكا .

اقتسام ثروات العالم

أما هاتان الزعيمتان الأوروبيتان فموقفهما يعني أمرا غاية فى الأهمية ، هو استحالة توصل أمريكا والاتحاد الأوروبى ، فى عهد الإدارة الأمريكية الحاضرة خاصة ، إلى حل فى مسألة اقتسام ثروات العالم . ومن المعلوم أن إجمالي الإنتاج الأوروبى يساوى نظيره الأمريكي تقريبا ، كما أن مستويات التقدم التكنولوجي والقدرات التنظيمية متقاربة . ومن هنا كانت المنافسة التجارية بين الفريقين على أشدها . وقد تزيد عليها حدة المنافسة مع اليابان ، إلا أن الأمريكيين أقدر على احتواء اليابانيين منهم إلى احتواء الأوروبيين .

وقد أدى ذلك ، بالإضافة إلى العلاقات الاقتصادية المميزة التى كانت بغداد قد مدت خيوطها مع فرنسا ، وبالإضافة إلى شخصية جاك شيراك ، وشخصية جيرهارد شرودر ، والمناخ العام فى أوروبا ، الذى ضاق ذرعا بسياسات أمريكية عديدة سابقة ، من أبرزها الموقف الأمريكي حيال المسألة الزراعية الأوروبية ، إلى ما يشبه تفجر الوضع المتوتر فى العلاقات بين الطرفين . وعلينا أن نلاحظ مع ذلك أن الدبلوماسية الأوروبية التى قادت هذا التمرد على السياسة الأمريكية لم تذهب إلى حد تبني الموقف العراقى القائل إن العراق خال فعلا من أسلحة الدمار الشامل ، بل اقترب الموقف الأوروبى من الموقف الأمريكي فى القول بأنه ينبغى نزع أسلحة الدمار الشامل العراقية ، وابتعد عنه فى القول بأن مجلس الأمن وليس الولايات المتحدة هو الذى يملك السلطة التقديرية بصدد أعمال المفتشين وبصدد أية قرارات تتخذ ، لا سيما قرار الحرب .

وإلى هذه المواقف والآراء انضمت الصين التى ما زالت على موقفها وقرارها بعدم لعب أدوار رئيسية فى السياسة الدولية ما دام همها هو بناء قواها فى النواحي التى تتخلف فيها عن الآخرين (لا سيما عن الولايات المتحدة) . والصين مستندة إلى قدرات دفاعية كاملة ، ولكنها تريد أن تتمتع بقدرات هجومية منافسة أيضا . وسوف تصبح مضطرة مع مرور الوقت ، إلى تطوير سياساتها عندما يزداد إنتاجها وتتحسن نوعيته وتقوم الولايات المتحدة بتضييق الأسواق عليها ، وعندما تشعر الصين بالحاجة إلى التصرف كما تتصرف القوى الكبرى ، وتتخذ لنفسها سياسة آسيوية استراتيجية على وجه الخصوص .

كبرى الأكاذيب المفضوحة

ثالثا . ومن الأسباب التى أدت إلى هذا الحلف الدولي ضد موقف الولايات المتحدة ما أبدته الإدارة الأمريكية الحالية من عجرفة وعربدة ، لا فى السياسات تجاه العراق وحسب ولكن تجاه بقية دول العالم . والجميع يعلم أن سياسات الولايات المتحدة مكروهة أصلا فى جميع أنحاء العالم . ومن المؤكد أن عهد هذه الإدارة أضاف إلى تلك الكراهية قسطا مضاعفا . ويرجع ذلك إلى الطريقة والأسلوب الذى يستخدمه الرئيس بوش فى ظهوره وفى كلامه ، وكذلك جميع أفراد إدارته . كما أن وتيرة التصريحات التى يدلى بها بوش كل يوم وتيرة غير مسبوقة وتكشف عن الشيء الذى يترفع الكبار عادة عنه إذ يحاولون دائما أن يقولوا كلاما كبيرا خاليا من التهجم الشخصي والحقد الذى يفلته الصغار . وقد قلنا من قبل إن من أغرب المشاهدات

السياسية التي مرت بحياتنا أن (يتفرغ) رئيس الدولة الأقوى والأغنى في العالم لشتم الرئيس العراقي شخصيا باسمه مرة ومرتين وألف مرة دون توقف ، مع تكرار المزاعم الكاذبة وإلصاق التهم المفتعلة ضد العراق بإصرار غبي لا يتقبله الحس بالمعقول الذي يملكه غالبية الناس . لقد استمرأ الرئيس الأمريكي الوقوف للخطابة كل يوم مثيرا الأحقاد وغرائز القتال في نفوس جمهور مختار حوله ، وسماع التصفيق في نهايات المقاطع التي تشير إلى قوة الولايات المتحدة والجيش الأمريكي . ومن أغرب الأمور أن يكون نصيب الرئيس العراقي من شتائم الرئيس الأمريكي أكبر كثيرا من نصيب أسامة بن لادن نفسه ! ومثل أفراد إدارة الرئيس كمثل الرئيس ، بدءا بتشيني ومرورا بكوندوليزا رايس ورامسفيلد ، وانتهاء بكولن باويل . الكل منفر . الكل يكذب ويعلم أنه يكذب ، والكل يستمر في الكذب بوقاحة متناهية كأنه يقول للناس أعلم أنكم أغبياء ولذلك أبيع بضاعتي الفاسدة لكم !!

وكبرى الأكاذيب المكشوفة والمفضوحة هي كذبة بوش وإدارته القائلة إنهم يريدون ضرب العراق بهدف تجريده من الأسلحة ، أو بهدف دفع خطره عن جيرانه ، أو بهدف حماية الولايات المتحدة من تهديداته ، أو بهدف إسعاد الشعب العراقي ، أو بهدف نشر رسالة الديمقراطية وحقوق الإنسان .. بينما العالم بدوله وأفراده ـ كبيرا وصغيرا ـ يعرف أن هدف الحملة الأمريكية نهب النفط العراقي حتى آخر قطرة .

ومن الأكاذيب الأمريكية الأخرى المفضوحة كذبة بوش وإدارته القائلة إن هناك علاقة بين العراق وبين تنظيم القاعدة في حين أن بن لادن يفتي بكفر نظام الحكم العراقي وأن نظام الحكم العراقي يأنف من الأيدولوجية الأصولية .

مادح نفسه

ومن الأساليب الممجوجة الخالية من أية نسبة من الموضوعية أن يكون بوش قد طلب لقاء بليكس والبرادعي عند بدء عملهما في العراق ، وبذلك أوحى للجميع أنه يعول على هذا الأسلوب ويحتكم إلى هيئة المفتشين ويرتضي بالنتيجة أيا كانت ، ثم بدأ في رفض كل شيء ناجم عن المهمة . فإذا قدم العراقيون التسهيلات المطلوبة سارع للقول إنها غير كافية أو إنها الخداع بعينه ، وإذا قدم العراقيون التنازلات قال إن المطلوب غير ذلك ، وإذا أرسل العراقيون علماءهم للخضوع للتحقيق قال إن المراد أشخاص آخرون .

لقد أثارت هذه الأساليب التي تنطوي على المكابرة والمماحكة واللدد في الخصومة طوال الوقت أحاسيس الغضب والإحساس بالإهانة والقرف من الزمن الأمريكي الذي لا يحترم عقول الناس والذي لا يقتصد في دعاواه العريضة . ومن دعاواه العريضة الممجوجة والمثيرة للسخرية ما فعله وزير الخارجية كولن باويل في مقدمة مداخلته في مجلس الأمن يوم الجمعة الماضي حينما استهلها بالقول إنه (باويل) يمثل أفضل نظام ديمقراطي بين نظم جميع الحاضرين . ونحن نقول إن العرب اعتادوا أن يعلقوا على مثل هذا الإدعاء عندما يصدر من جاهل أو أحمق بالقول : مادح نفسه يقرئك السلام ! فماذا نقول لوزير خارجية أمريكا ؟!

إن السياسيين يكذبون غالبا . ولكن إدارة بوش ضربت رقما قياسيا في إطلاق الأكاذيب . وفي الوقت نفسه مثلت المعاني النقيضة تماما لما تقول . وفي ذلك ما فيه من إساءة لتربية الأجيال الناشئة . فالدولة التي تعيب على العراق أن تكون لديه أسلحة دمار شامل هي ذاتها الدولة التي تملك أكبر ترسانة للأسلحة من جميع الأشكال والألوان ، والدولة التي تعيب على العراق استخدامه الغازات القاتلة كما تدعي هي الدولة الوحيدة التي استخدمت القنابل الذرية ضد أعدائها . وبالأمس القريب صرح رامسفيلد إنه لا يستبعد استخدام القنابل الذرية ضد العراق .

من هنا ثار الضمير البشري وخرجت العواصم في الشرق والغرب في هذه المظاهرات التي تبعث على التفاؤل بأن الدعايات الأمريكية الغوغائية لم تنجح على الرغم من كل شيء في التغلب على وعي الناس وإدراكها ، والأهم من ذلك حسها بالعدل . لقد ظن المجرمون أن العبارة التي قالها جوبلز قديما " اكذب اكذب حتى يصدقك الناس " ما زالت صحيحة . ولكن الناس خيبت تلك الظنون .

إلا في العواصم العربية .. حيث يعشش العنكبوت في قلوب السياسيين ويتحمل أولئك الأشقياء مسؤولية إخصاء الضمائر وتعتيم القلوب في سراديب الأجهزة السرية .

لقطات الأسبوع :

- نكتة : أحد معارفي يعلق تعليقات جارحة كلما ظهر السيد محمد البرادعي في القنوات الفضائية . وقد ضحكت حينما رد أخوه الأصغر على تعليقاته قائلا : ولكن للبرادعي مع ذلك ميزة عملية مهمة . فسأله أخوه : وماذا تكون ؟ فأجابه : أنه يصنع ملبسه بنفسه !

- ما هي هذه المعايدة التي نشرها الرئيس بوش ووزير خارجيته كولن باول بمناسبة عيد الأضحى ، موجها فيها التحية للشعب العربي الفلسطيني ، متجاهلا ضمنا الرئيس المنتخب للشعب العربي الفلسطيني ؟ هل فهم من تقارير معلومات أجهزته وأجهزة إسرائيل أن بين الفلسطينيين من لا يوافق الرئيس عرفات على سياساته ؟ فلنفرض ذلك جدلا .. ولكن الفلسطينيين جميعا يعرفون مقدار الإهانة الموجهة إليهم التي ينطوي عليها هذا التجاوز الفظ الخارج عن جميع الأعراف الدبلوماسية لرئيسهم المنتخب الذي يمثلهم .. وهم ليسوا من الغفلة بحيث يصدقون أن بوش يحبهم (ولكن لا يحب رئيسهم) !؟ هل نسي أن الفلسطينيين هم الشعب المسيس رقم واحد في المنطقة وأنه غير عاجز عن رؤية ما وراء الظواهر ؟ أم أن هذه المبادرة كلها مقصود بها تسكين غضبة المنطقة ؟

بسم الله الرحمن الرحيم